

## مراثي الشعر العربي لدى يوسف عبد الله اللوكوجي لمداوكي بدا، دراسة فنية

إعداد:

حمزة نوح صادق

المحاضر بقسم اللغة العربية، كلية التربية الفدرالية أوكتي، ولاية كوفي، نيجيريا<sup>١</sup>

## الملخص

تنظر هذه الورقة إلى اسهامات يوسف عبد الله اللوكوجي، ونتاجاته الشعرية، حيث أخذ الباحث يد القارئ إلى تاريخ مدينة لوكوجا وذكر علماء فيها، ثم تطرقت الورقة إلى نبذة يسيرة عن حياة يوسف عبد الله اللوكوجي، وانشاء مدرسته التي سميت بمركز العربي والإسلامي، ومؤسسات يوسف عبد الله العلمية، وحاول الباحث إلى البحث عن رثاء التي قيلت عند وفاة ماداكي بيده بولاية النيجر عندما حج بيت الله الحرام ووافته المنية، ذكر الرائي بعض أخلاق الفقيده وجوده وعطائه الذي لا يكاد ينقطع يوما حتي لقي ربه، ونظرت الورقة إلى أساليب الفنية في هذه الورقة من الأفكار والأسلوب والعاطفة ولغة القصيدة، وكذلك مضمون القصيدة وأوزان شعر وقوافيه، والملاحح البلاغية في القصيدة، واختتمت الورقة بالخاتمة والمراجع العربية والإنكليزية.

## Abstract

This paper represents a biography of the great scholar and prominent Arabic literary personality in Lokoja Kogi state, Nigeria; sheikh Lokoja. It gives an account of his life generally, exposing his scholastic potentials and contribution to the development of Arabic literature. This could undoubtedly enhance further research in to the precious Arabic literary legacies of the great Sheikh especially in the aspect of didactic literature.

## المقدمة

يمتاز الشعر الصوفي عند علماء لوكوجا بمكانة مرموقة، ويتبوء عرشها مبوء العز والإجلال، الذي به يقدر قيمة العالم وموهبته العلمية، وبه عبر علماء لوكوجا عن مشاعرهم النقية، وتجربتهم الروحية الصادقة.

<sup>١</sup> [Hamzatsadiquhu@gmail.com](mailto:Hamzatsadiquhu@gmail.com) 0806036233

واستخدموا الشعر وسيلة للثناء شيوخهم الصوفية، وإظهارا لمكانتهم الروحية، وتتجلى أعمال الشيخ يوسف عبد الله اللوكوجي بشكل لافت للانتباه، ولعب دورا هائلا في الأدب العربي النيجيري، وأخذ مساحة كبيرة في مجال الأدب العربي اللوكوجي، تستحق التحليل والتقييم، ليس في المجتمع الصوفي فحسب، بل في حقل الأدب العربي النيجيري، ذلك أنه تناول في شعره أغراضا عديدة من المديح والرثاء والإستغاثة والتوسل والمناجات وغيرها، فهذه الورقة محاولة متواضعة لتناول مراثي شعره لمداوكي بدا، وكانت القصيدة بحوالى سبعين بيتا، وقد قام الباحث بمعيار الأدبي من الأفكار والخيال والمضمون والأوزان والقوافي والبلاغة. وتتلخص مباحث هذه الورقة في النقاط التالية:

- نبذة عن معنى لوكوجا
- نبذة تاريخية عن حياة الشاعر
- عرض وتحليل لقصيدة المختارة
- دراسة فنية للقصيدة، ثم الخاتمة.

#### نبذة عن معنى لوكوجا

اختلفت وجهات النظر في أصل كلمة لوكوجا، ولكل قبيلة من قبائل المجاورة للوكوجا ما يقابل من لغتها الأم هذه الكلمة. ذهب بعضهم أن هذه الكلمة تم تسميتها على يد الحاكم الإنجليزي المسي (بتي) وهي كلمتان متركبتان، وهما أولو، كوجا، بمعنى الشجاع المحارب أو المقدام.

ويرى الآخر أصل كلمة لوكوجا من لغة قبيلة أوورو، وتعني مقر مريح للسكن والعيش، وجوهادئ للراحة.(٢) وذهب قبيلة إبرا كوتو: أنها أرض مخاطة بالجبال السامخات الراسيات.

وفي لغة النوفية صرح الرجل المسى (بأبيغا) عرف معنى لوكوجا من والده (بتي) أنها شجرة ذات أغصان الظليل(٣). وقال أم.دي سليمان: أن كلمة لوكوجا هاوسوية الأصل وهو من "لوكو" أي طريق ضيق أو معوج، "وجا"

بمعنى أحمر ويرى قبيلة يوربا: أن المراد بلوكوجا عبارة عن إلو أوكي أوجا، أو إلو كوجو، بمعنى - ملتقى المدن، وبمعنى آخر، مدينة الواقعة بعد السوق(٤).

ولوكوجا عاصمة لولاية كوفي، تقع في شمال الوسطى من نيجيريا كل من نيجر، ونصراوا، وبينوي وكوارا، وجوس، ويقاربها جبل طويل إرتفائها ثلاثة أمتار، ومستواها مائة وخمسين مترا، ولها جو معتدل في الحريف، وشديد الحرارة في الصيف، والبرودة في الشتاء، ويعيش في مدينة لوكوجا قبائل عرقية وأجناس ذات اللغات المختلفة، وعادات وتقاليده متنوعة، وأهم هذه القبائل: إغالوا وهم أكثر سكانا، ويعيشون في شرق منطقة لوكوجا، ويلهم قبيلة إبروهم يعيشون في الوسط الولاية، وقبيلة كبا في الجنوب، وكتوكرف في الشمال قريبة من عاصمة نيجيريا(٥).

## ١- نبذة تاريخية عن يوسف عبد الله اللوكوجي.

### أ - حياته

يوسف عبد الله بن إبراهيم إندامياك النفوي أصلا، والمالكي مذهباً، والتيجاني طريقة، واللوكوجي دارا ومقرا، والباغانوي مولداً، وأمه رحمة بنت محمد غنا وهما جاءا من مدينة بدا، بولاية نيجر، نيجيريا. وكان والده من قواد جيوش أمير بدا المسى بأبي بكر، وعهده عهد ذهبي للثقافة العربية والإسلامية في جميع أنحاء بلاد نيجيريا، ويلقب والد يوسف بإندامياك، وكانت أسرته وثيقة الصلة بالعلم والدين والمعرفة، وكان يوسف أكبر بنى أبيه وأفقههم ديناً، وأشهرهم صيتاً، وأكثرهم إنتاجاً(٦).

### ب - مولده ونشأته

أما سنة ميلاد يوسف عبد الله، فلها روايات، منهم من ذهب إلى أنه ولد عام ١٨٦٥ وأخر يقول عام ولادته ١٩١٦م، وقد حاول الباحث من خلال الدراسات الميدانية التي قام بها بعض اللجنة المكونة للبحث عن حياة الشيخ، واكتشفت الدراسات أن الشيخ يوسف عاش مائة ونيف، وحجتهم في ذلك أن رفاقه الذين أجري مقابلة الحوار معهم، تتراوح أعمارهم ما بين التسعين والمائة وأقروا بأن الشيخ يوسف أكبر منهم سناً.

وقيل أن من معاصري يوسف عبد الله، شعيب أبو بكر كنيشي، وكان يؤمن بأن الشيخ أكبر منه سناً، وعند وفاة كنيشي، صدر مكتوب من قصر ميغري، صاحب السمو الملكي بلوكوجا، الحاج محمد الكبير الثالث، يرجع تاريخ ميلاد كنيشي إلى ١٩٠٧م وتوفي عام ١٩٩٥م. (٧) ويرى الباحث أن ولادة يوسف عبد الله ما بين عامي ١٨٨٥ - ١٨٩٠م.

### ج - مشايخه

بدأ الشيخ يوسف دراسته الأولية عند والدته، السيدة رحمة وذلك إثر انتقال الأسرة من باغانا إلى لوكوجا، وعمره أربع سنوات ثم بدأ يختلف إلى كتاتيب أهله أمراً من والده إلى أن أكمل القرآن الكريم سرداً على عادة الصبيان في البلاد، ويعبر "مى صلاتي" البرناوي من أوائل معلميه وكان من أصدقاء والده، وقد أخذ منه الشيخ دروساً أولياً، وتربية إسلامية، لكنه لم يطل إقامته عند المعلم حتى توفي والد المعلم فرجع إلى أهله في برنو كاسف البال، ولم يقدر الله له العودة، ثم ساقه القدر إلى الشيخ "محمد الشفا" الذي تلقى على يديه أصول الدين والعقيدة، تمكن بهما رسوخ القدم بالشريعة الإسلامية أصولاً وفروعاً، ثم واصل دراسته عند الشيخ "طن عمر" على إذن من الأول وكان "طن عمر" آخر علمائه في مرحلة التكوين والنشؤ، وبعد ذلك انتقل الشيخ يوسف من مرحلة الأولى إلى المرحلة الثانية، وهي مرحلة التخصص في مجال العلم، وقد اتصل بـ "مى مزري" لنبوغه في علم التفسير، وبأبي بكر الفرغوزي "الكنوي" لتمكنه في اللغة، وبمحمد الراشد في الفقه المالكي وبمحمد البشير في شهرته في علم الفلك والحساب. (٨)

وما من عالم نزل بلوكوجا وضواحيها إلا وتلمذ عنده، وفي هذه المرحلة تعلم فناً آخر من فنون اللغة وهو البلاغة والعروض، وبدأ يشرع في تأليف الكتب ونظم القصائد عام ١٩٤٩م.

## د- انضمامه إلى الحركة الصوفية

انضم الشيخ يوسف عبد الله إلى حركات صوفية مخلصه بعد أن تمكن من العلوم العربية والإسلامية، وكان المعلم الذي حبب طريقة الصوفية إلى قلبه، منهم المعلم "حياة الزاري" وقد قرأ على يديه كتباً تهدف بكل صدقها وأمانتها إلى التصوف الإسلامي، فمن ثم نمت همته تجاه الصوفية والصوفيين فانتفى إليهم. وهو يقول "علم التصوف من أجل العلوم قدرا، وأعظمها محلا وفخرا، وبه يزيد الإنسان في القلب نورا وإيمانا إذ هو لباب الشريعة ومنهاج الطريقة، ومركز المومنين الصالحين العاملين بعلمهم". (٨)

ولما سمع الشيخ شهرة الشيخ عبد السلام بن هارون بمدينة لوكوجا تعارف عليه وتلمذ على يده، وأخذ منه الورد التجاني عام ١٩٤٩م وعلوما أخرى وأخذ مجددا يقول عنه ".....لأنه صاحب وقور وصبور، عالم بفنون العلم سيما مقامات الحريري، وأشعار الجاهلي وغيرهما، هو أول من أخذنا منه الطريقة منذ سنين رحمه الله".

ثم جدد الإذن والإجازة للمقدم على يد حفيد الشيخ أحمد التجاني المشهور بالحاج بن عمر عام ١٩٥٠م بمدينة إبادن، وعلى يد عالم آخر يدعي بمحمد الأوجري الذي يقول عنه في هذا البيت:

عبد الله أوجروي كنت واسطى \* دهرين شاكر من في الأصل معتبر. (٩)

ولما ظهر الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي استصحبه وكان من أتباعه ووزرائه، والشيخ إبراهيم نفسه جذب الشيخ يوسف عبد الله إلى نفسه، لما رأى منه من أمارات النضوج في علوم الدين وحقيقة الصوفية، وقد قدم له الشيخ إبراهيم إنياس الأذكار والأوراد الصوفية، وأخذ الإذن عن كل ما صحت روايته من الشيخ الخاتم التيجاني عام ١٩٥٢م ودامت العلاقة الودية بينهما حتى وافته المنية.

وقد تلقى الشيخ يوسف الدراسات العربية والإسلامية على جهابذة شيوخ نيجيريا وعمالقها، وأبرزهم في البحث الشيخ عبد السلام الذي تلقى منه علوم اللغة والأدب كمقامات الحريري، وأشعار الجاهلي وغيرهما، والشيخ محمد الراشد، الذي كان حجة في الفقه المالكي، وحافظا لمختصر الخليل، والشيخ موسى السوداني، وقد تأثر كثيرا من الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي، وفيه يقول هذه الأبيات مادحا إياه:

- يا غوثنا شيخنا يا من له كشف \*\* لولا علومك بيت العلم ما نشره  
 برهام فيضاه ما حل العلام به \*\* إلا وأبكم ذاك العلم مقتصره  
 القوم فانتبهوا الفيض قد ظهره \*\* شكرا لصاحبه في اليوم مكتثره  
 قيل بروزك فينا نحن في دهم \*\* أهب بعصرك ذا فالنفع مكتثره  
 جددت سنتها من بعد ما فقدت \*\* أعرفت مآثرها اليوم مشتهره  
 نسجت من بردة من أولياء مضوا \*\* يا من علا ذكره في قلبنا جهره  
 أخرقت عادتنا من قبل ما خرقت \*\* أشربتنا غدقا الماء مستكره  
 وأنت جازيتني بالإذن رمته \*\* منحت لي نفحة والحمد مستمره  
 وأنت منيتنا وأنت رغبتنا \*\* وأنت داخلنا في الجنة الخيره (١٠)

#### ه - تأسيس المركز بلوكوجا.

مر المركز بمراحل من انشائه حتى أصبح نوره تسطح في أفاق السماء يقبل إليه طلابا من القبائل المجاورة، وقيل أن تسمية المركز في بادئ الأمر كان معروف "بنور الإسلام" أيام أن كان مؤسسه في مدينة إبادن ، وذلك في أوائل الخمسينات من القرن العشرين الميلادي، وظل على هذا الحال عقدا من الزمن، ويتراوح بين الرقود والصعود ، حتى منح الله الشيخ عصا الترحال للانتقال من إبادن إلى لوكوجا.(١١)

نزل يوسف بمدينة لوكوجا في الستينيات ، وأقبل إليه وفد غفير من عشاق اللغة العربية والدراسات الإسلامية من كل حذب وصوب، قاصدون نحوه لنيل علمه الديني، ومعارفه الصوفي، وكان أول مقر المدرسة في ساحة قصر رئاسة ملك أوكييني "أتا" في قلب لوكوجا مدرسة سماها " مشهد التعليم العربي الإسلامي" عام ١٩٦٠م، حيث يروي العاطش ظمئه، ويشبع الجائع حاجته.

أنشأ الشيخ مدرسة أخرى، وعرفت تلك المدرسة "بالمعهد على أساس توسيع المناهج الدراسية المعاصرة بالثقافة الغربية الحديثة، فصار كلا المدرستين تمشيان جنبا بجنب في خدمة العربية والإسلامية، حتى قدر الله هجرة

الشيخ يوسف من إبادن إلى لوكوجا، وجال في ضميره فكرة انشاء مركز التعليم العربي والإسلامي، مما ركز إهتمامه على المناهج العربية والإسلامية بأوسع النطاق. ولقي المركز قبولا من المدن المجاورة والبعيدة يأتون إليه فوجا فوجا، حتى استقام عوده، ورسخ قدمه. (١٢)

#### و- آثار المركز في المجتمع النيجيري

بدأ توغل الطلاب إلى المركز وأصبح إنتاجاته العلمية متعلقة في آفاق السماء مسجلة في تاريخ نيجيريا، وكان له دور حساس، وآثار إيجابية في قلوب المسلمين خصوصا في مجال الدعوة الإسلامية، وفي حقل الإمامة والتدريس والقضاء ووسائل الإعلام والسياسة وغير ذلك.

ويرى الباحث أن كثيرا من أئمة المساجد الجامع ونوابهم في معظم مدن ولاية كوفي من خريجي المركز، بل ومدرسي اللغة العربية والدراسات الإسلامية في كثير من المدارس الإبتدائية والثانوية الخصوصية والحكومية (١٨)

#### مؤسسات يوسف عبد الله اللوكوجي العلمية

ولنبوغ الشيخ في العلوم العربية والإسلامية ورغبته الملحة في نشر الثقافة العربية في أنحاء البلاد، أسس معاهد علمية في أماكن مختلفة، ويعتبر مدرسة نور الإسلام أولى مؤسسات التعليمية بإبادن، ثم ساقته الظروف إلى إنشاء معاهد أخرى في لوكوجا على رغبة أهلها، وإن كانت الروايات تتضارب عن سنة تأسيسها، وقيل يرجع تأسيس الأولى إلى ١٩٧٠م. والأخيرة إلى ١٩٦٣م. وقد ضاعت يد الدهر بنور الإسلام إثر مغادرة صاحبها من إبادن إلى لوكوجا. وأما مركز التعليم الإسلامي فلا يزال قبلة يتوجه الناس شطرهم إليه من تأسيسه إلى اليوم.

#### ز- أضواء عن بعض إنتاجاته الأدبية

تعتبر مؤلفات يوسف عبد الله من أكبر إنتاجات علماء نيجيريا اليوم غزارة، وأكثرها مناسبة بالبيئة التي يعيش فيها، بل أشد حاجة إليها للناشئين من الشبان لأنها تشمل موضوعات على النقاط الآتية: الأدب العربي النيجيري، والتصوف الإسلامي، علم الأخلاق، فقه الإسلام، والمديح النبوي، إضافة إلى الخطب المنبرية،

والمقالات الأدبية الملقاة في الحلقات الدينية والثقافية. ومهما يكن من أمر، فقد كتب الشيخ مالا يقل عن سبعين كتابا منها منشور وغير منشور:

#### \* المزاج في ذكر الأحابب المؤمنين الصالحين في نيجيريا الرائقة.

هذا الكتاب عبارة عن القصيدة التي قالها الشيخ في رثاء سليمان أليلى وعلماء نيجيريا خصوصا التجانيين منهم، وقد امتدت الأبيات إلى أربعمائة وتسعة عشر بيتا، استهلقت القصيدة بهذا المطلع وهي من بحر الرجز قائلًا:

حسبت بعدما حوقلت يا جل\*\*جلالك القديم قد أتى وجل  
علو عبدك الفقير سليمان أليلى\*\* ناديتك دعوة لمضجع خليل  
إذ موت راحة مثله وكفؤه\*\* فإنه رأى ما ينيله من عفوه (٢٣)

\* البيان الصافي فيما عليه الصوفية، والكتاب أجوبة قيمة علمية، الكنز المدفون في استعمال بسورتي يس وأم القرآن، تحفة أحابب الرسول الفخيم في مدح النبي الكريم، تبر الذهب الخالص في فضائل لزوم تلاوة سورة الإخلاص، حدائق مبروكة مثمرة، زمرة المجاهدين في رفع منار الإسلام وطرق المتقين، سهل التناول وتيسير الوصول إلى مقامات الحريري البصرى الفاضل، عصا رحلة الأحابب إلى زيارة أولى الألباب، لباس التقوى، لطائف الفيضة القرآنية، مجموع علوم التربية الخالصة في معرفة الله والرسول والنفس اللوامة، مختصرة البيان والتبيان في الترقية بعد التربية إلى معرفة عرش الرحمن، منحة القدير في معرفة فضائل وفوائد ما في ليلة القدر، محاوى الطريقة التجانية ذات الأسرار الربانية، ومنبع الفيضة الإبراهيمية في ذكر مولد صاحبها الكولخية. (٢٤)

#### - مراثي الشعر عند علماء لوكوجا

##### أ - التعريف بالرثاء

الرثاء مصدر فعل "رثى" - رثى الميت- رثاء، ورثائية، ومرثاة- بكاء بعد موته. وعدد محاسنه- وقال: رثاه بقصيدة ورثاه بكلمة. (٢٥) التعريف الإصطلاحي لكلمة الرثاء. عرف الرثاء زكرياء حسين في السطور التالية: "الشعر الرثائي

هو ذلك الشعر الذي يتناول بكاء الميت ومدحه وذكر محاسنه ومرارة العيش بعده والتحسر وشدة التلهف والحزن على موته وعجز الناس عن رد روحه الراحلة والدعاء له بالرحمة والمغفرة والبركة وإبراد قبره بالمطر الغزير المريح" (٢٦)

وعرف الرثاء علي محمد حسن وآخرون في عبارات الأتية:

"الشعر الرثائي عبارة عن تصوير ما يعتلج في النفس من ألم وحزن لموت عزيز أو صديق أو خليفة أو أمير أو أستاذ وغيرهم، وكثيرا ما يثنى الشاعر المرثى، وحينئذ لا يفترق الرثاء عن المدح إلا أن يختلط الرثاء بشيء يدل على أن المقصود به ميت" (٢٧)

ويرى الباحث أن الرثاء لون من ألوان المدح لكنه مدح للموتى وتعداد مناقبهم وأثارهم والتفجع على تفقدهم، وما أكثر ما تناول شعراءنا النيجيريون هذا اللون من الشعر حين يفقدون عالما أو عظيما أو كريما أو شجاعا. وأهم مميزات الرثاء، صدق العاطفة والإحساس والبعد عن التهويل الكاذب كما يتجلى فيه التحلى بروح الصبر لقصيدة قالها محمد نجل سليمان ميجاجا رثاء للشيخ يوسف عبد الله اللوكوجي:

أعز البرايا تبكين لفرقة \*\* إمام خطيب مرشد الناس قدوة  
إذا كان مخلوق على البر مخلص \*\* لدام ابن عبد الله حيا بعصمة. (٢٨)

والرثاء لها أربعة عناصر، وكل واحد منها أهميتها لدى الشاعر، والعنصر الأول هو الندبة: مصدر فعل ندب- يقال ندب فلان ميتا- يعنى أنه بكاء وعدد محاسنه. وفي كلمة أخرى تعنى كلمة الندبة، تعديد محاسن الميت، (٢٩) وانطلاقا من ذلك تشير الكلمة إلى البكاء والحزن على الميت والتعبير عن الألم الكامن في نفس الإنسان الذي فقد أحد أقربائه وأحبائه، والشعر الرثائي في هذا النوع ينبعث حقا عن عاطفة حارة وقلب موجد، ويكون ذا أثر محزن عميق في نفس السامع والقارئ، إذ تمتلئ نفس الشاعر بالحزن فينقل شعره البارع إلى نفس القارئ. وهذا النوع من المراثي، تكون في العادة مما يثلفه الشاعر في ولد أو أخ أو أم أو

أب أو صديق حميم فهي وليدة الشعور الصادق والإحساس العميق بالرزء الذي رزئه الشاعر في أهله وأقربائه.

وخير مثال لهذه الظاهرة الرثائية هو الشاعر، أبو بكر يوسف عبد الله في مرثي قصيدته الذي سماه

#### قصيدة نونية لوالدي الحنون حيث يقول:

ذهبت بل وما ذهباً \* نشرت العلم والأدبا  
 كذا في الفيض والرشدنا \* جزيت بحير مفخرنا  
 متى ألزمت خالقنا \* ولا ننسك مرشدنا  
 وموت لا يضرك يا \* حديم العلم مرجعنا.(٣٠)

ونوع الثاني من هذا القبيل، هو التأيين، والتأيين: هو الثناء على الميت بعد وفاته، ومن خصائص التأيين هو أن يذكر الشاعر مرثية أو ممدوحه في معظم الأحياء بالصفات الطيبة والخصال الحميدة والأخلاق السامية. والتأيين يكون تارة في مدح العظماء والأعيان والقواد والعلماء والأغنياء الذين لا تربطهم بالشاعر قرابة أو في أحد أقربائه.(٢٦) وخير مثال لهذا النوع هو فائية إبراهيم موسى التيجاني مرثية لشيخه يوسف عبد الله اللوكوجي:

لموت أبي العلماء عيني تزرق وهل من فقيه الدين قلبى ترجف

ألا إن خير الناس من طال عمره كذا أحسنت أعماله ليس تؤسف.(٣١)

والثالث: هو التعزية، وهو مصدر فعل أو كلمة عزي تعنى سلا أو صبر. ويقال عزاء أى

صبره- ويقال تعازى القوم تعازيا يعنى عزي بعضهم بعضا - تشير كلمة العزاء أو التعزية إلى الدعوة بالتجلد والتصبر وإسقاء أهل الميت السلوان،(٣٢)

ومن خصائص هذا النوع المراثي أنها تغلب فيها التصبر والتجلد والتعزية على البكاء، ومما يذكر في هذا الصدد، أن من النادر أن تكون المراثية مجردة التعزية، لأن حالة الرثاء لا بد أن يضم القلق ويتحيل صورة الفقييد بين الوجود والفقدان .

ومن المثال لهذا النوع مراثي محمد بن أبي بكر للشيخ يوسف عبد الله اللوكوجي :

ربود المطي واجب بحضيضة      لدى كسر أخفاف لجبر المهيضة  
حتا عمره في الكد والدك طالبا      بروكا يريح النفس من كد عيشة  
من الشقة ينحوا إلى الله راحلا      براه التجاني سالكا في الطريقة.(٣٣)

والنوع الرابع هو فلسفة الحياة والموت أو المراثي الحكمية، تشير إلى التأنق في المسائل العلمية والتفنن فيها، وتعنى علم الأشياء بمبادئها وعللها الأولى، وإن كلمة "فلسفة" يونانية الأصل وهي "فيلو" أي محب "صوفيا" أي .

ج - عرض لمراثي الشعر المختارة وتحليلها

أرثى أبا بكر بقلي هائما	لسمعي نعي الموت من كان عالما
حياة لماداكي ولا شك إنها	يعيد بها الناس وكل مكرما
أطاف ببيت الله من غير عدة	فقام يؤدي الفرض ما كان علما
جهودك في الله فإني مشاهد	رأيتك في الرؤيا فكنت متعما
جناحك مفروغ بحب إلها	فأدي فروع النسك مازال قائما
أيا رب يا رحمن فاغفر ذنوبه	وما كان مخفيا وما كان علما
بقائك فينا كان خيرا مجمعا	وموتك وغط عند من كان فاهما
قيام بجنح الليل إن نام جاره	فأحسن به علما كذا متعلما
بذيل لأهل الله من جاء نازلا	كريم ظهور القلب للناس مكرما
كأنك أهل الله بل أنت منهم	أعزى به عثمان ومن متألما

فأرحم عبيدا زال في القبر نائما	رجاؤك عفوا لله من هو راحي
بموت أبي بكر فكن متحلما	محمد الأول يعزيك يوسف
لموت خديم الشيخ لا تتألما	أيا عم عثمانا يعزيك قارض
أعزيكم جمعا وكلا معظما	سليما فوغن عاقل متورع
بموت خديم الشيخ من مات سالما	عليك بصبر كان صبرك أحسنا
لعبدك مرحوم وإذ كنت راحما	دعوتك يا لله عفوا ورحمة
وفاز بتصهير الذي نام سالما	وأذكر سركن أوننا صهرا مكرما
أمشهور عبد القادر شيخا مكرما	أعزيك بحر العلوم وحكمة
ببلدته مشهور كريما مكرما	كذا أنت الحاج عبد مضيف
بتعزية المرحوم من كان عالما	يناديك بالنظم المخصص يوسف
لفقد حبيب أي حبيبا مقدما	علي مكا من بده صبرك أحسن
بنيجيريا جمعا ءلاتك ألما	وأنت علي القدر ذو شهرة العلى
فكن صابرا عن الذي مات محرما	فالحجنا الشافعي من بزاريا
بيده مربي الطالبين وعالما	معلم إدريس العلى ذو المعرف
يفيد بك الأحباب إذ كنت فاهما	سليتك يحيى عالم ذو مكانة
صفي لمادكي ومن كان ألما	فيا عبد الرحمن الطيب محقق
لفقد حبيب الله حقا مقدما	فوا أسفا على الأوبة أجمع
فترحم عبيدا كان في القبر نائما	أناديك يا رحمن إذ أنت راحم
معارفه حقا ولن تهتما	كريم سجاياه وخلق مكرم
وأعماله في الله ما كان يعدمنا	وكالشمس نور بل وكالنجم رفعة
وقد علم الأقوام ما قال ناظما	بشاشة وجه دائما كان دأبه
على عبدك المذكور ما كان مأثما	دعوتك يا رحمن أثجج برحمة

أمير وأقيال ومن كان حاكما	فهاء وباء ثم دال وبعده
لموت أبي عثمان من مات سالما	أعزيكم كلا ومن كان علما
يجود بلا أثر ولا يتكلما	عطاه كبحر منه من كان يعلم
قبرك عام أينما كنت دائما	نراك بقلب في غيابك دائما
وقد علم الأحباب ما كنت أنظما	عوائده مشكور غير مذمة
ووق لنا أنساله كنت راحما	أيا رب فاغفر ذنبه وارحمته
ولي حبيب الله في القبر نائما	لموت حبيبي الكريم مقدم
لموت محب مات سعدا ومحرمنا	أعزيكم كلا ولن أنس واحدا
ورحمة يايا واسمعي ما قلت ناظما	سأذكر مريم المسعى بينكور
أصبرا أين غوغو كلكم من تألما	وسعى المسعى فاطمة وحببية
وقورا حلينا دائما متعمما	على فقدنا الزهاد من كان مؤمن
فها يوسف يعزيك قد كان راسما	وحجية الصغرى المسعى بحفصة
بنات لمفقود الكريم معظما	وأدعوك إنا ياك صبرك لازم
خليل سنوسينا الأمير مكرما	وعفوك يا رحمن نرجو لراحل
شهيدا بأرض الله إذ مات محرما	فيا أهل بدر نال ما نلتم بو بكر
بكانو يعزيك الذي كان ناظما	والحاج حمزه الطاهر القلب تاجرا
فتعزية المرحوم مني معمما	إلى الحاج ثادوا في إلورن مواطن
شقيق له المحبوب قدما معظما	أمرشد في الدين فقل حاج آدم
أعزيك في ذا المصاب مألما	ببابا أسابع يسمي بلقبه
يقوم لأهل الله إن جاء سالما	نقوم وندعوا الله فداءا لموت من
لدى نور وجه ذى النصائح فاعلما	عبيدك فارحم يا رؤوف وأكرمن
فتوفي بيت الله كريما مكرما	لقد كان من قبل حكيمنا محكما

خطيئته الصغرى وما كان عظما	مهيمن يا ستار فلتهف واغفرن
إذا قرأ القرآن لن يتكلما	لييب فهيم عالم ومفسر
فعممتهم في اليوم خيرا معظما	أفاد شعوب في قيامك بينهم
بدولته المعروفة كن متعلما	يلقب ببالي لبت إن كنت عارفا
فذاك أبو عثمان كريما مكرما	منازل أهل العلم ما زال داره
وما قال أف للذي دام قائما	فأكرم به رفدا لكل وطارق
صباحا مساء كنت أخی متعلما	لفى دار ماداكي علوم يدرس
حبيب ولي الله إذ كان خادما	لقلبي مملوء بذكر بحبينا
خديم ومحبوب لدى الناس دائما	يحب شيوخا ليس من شك إنه
وما زال يرقى بالعبادة كيفما	مقدم في ورد بإذن مؤطد
بنجيريا الكبرى باسمك قائما	رعى الله بده هكذا ما بحوله
فأنت مراد الخلق من كان عازما	أجب لى يا رحمن من كل دعوة
فالطف لعبد كان فى الباب لازما	لطيف رحيم دائما متلطف
أتى مستقيلا من ذنوب معما	لعبدك مذنوب يسى بيوسف
وقد كان لم يؤلد وقد كان منعما	الصمد يا رحمن الله لم يلد
وأل وأصحاب ومن كان عالما.(٣٦)	أصلي على المختار من آل هاشم

## د - تحليل القصيدة

تقطرت الدموع وتفجرت ينابيع الألم وتكابدت الخزن عندما سمع الشيخ يوسف عبد الله اللوكوجي بوفاة السيد الخاج أبى بكر مادواكي بده بن عثمان الملقب ببالي.

افتتحت القصيدة برثاء أبي بكر وهو من مريدي الشيخ يوسف، وهو أحد مريديه متصف بأخلاق السامية، وتربية الحسنة، يفوق أقرانه في الخلق والحلق.

وذكر لقب الفقيد المشهور في البيت الثاني ومزياه في الحياة، فحياته مليئة بالجود والعطاء، وهو كالبحر الذي يروى العاطس والظامئ. ويبين حال المرثي ومكانه الذي توفي فيه وهو يطوف بالكعبة المشرفة، وبين الشاعر أن زيارته بالبيت ليس هو الأول من نوعه، لكن الله ختم قضائه لهذه المرة حيث فاجتته هادم اللذات، ومفرق الجماعة والأسرة، وميتم الأولاد.

حاول الفقيد محاولة لا يستهان بها في سبيل المجد، وقضى حياته جاهدا في الله، منها بناء المساجد والمدارس، وهذه الخيرات لا زالت تذكر مدى الدهر، وكل الناس يعترفون به ويقدرون تلك المجهودات الفعالة.

وانطلق الشاعر إلى موهبة الصوفية وهي الرؤيا والأحلام حيث يقول: أنه شاهد في الحلم رؤيا الفقيد بأنه من المنعمين، الذين رضي الله عنهم. وبدأ يدعوا الله للفقيد بمزيد من التوبة وأن يتجاوز عنه خطاياهم ويتغمده الله برحمته، ويتجاوز عن سيئاته. وينقل القرئ إلى عالم التخيل والتفكير، وهو يذكر أيام وجوده بين أظهر الشاعر لما فيه من البركة لكل كبير وصغير، وفقده حسرة وندامة، وموته خبر وعظمة لكل عاقل مدبر.

ومن مزايا الفقيد: كان يقوم الليل لا لشيئ سوى مناجاة إلهية وطلب عفوه ورضاه. لذلك يقول الشاعر عنه:

كأنك أهل الله بل أنت منهم\*\* أعزى به عثمان ومن متألما

وكأن الشاعر يبين حاله وخزنه الشديد حين تدمع العينين، ويتألم الفؤاد لفقدان أبي بكر الرحيل.

وجه الشاعر خطابه إلى الله تعالى، يطلب العفو والسماحة والرحمة للرحيل.

وانتقل الرائي موجهها إلى عم الفقيد وهو محمد الأول، ودعا له أن يلهمه الصبر والسلوان على الفقيد، وهو يقول:

أيا عم عثمان يعزيك يوسف\*\* لموت خديم الشيخ لا تتألما.

وشرح يذكر أسماء أسرة الفقيد، "سليمان فوغن"، ووصفه بأنه رجل عاقل، وكذلك "سركن" وهو صهر الفقيد، "وعبد القادر والحاج عبد الله"، وأهل بده برمتهم "والشافعي" من زاريا، ومعلم إدريس، ويحيي، وعبد الرحمن، وبدأ يذكر بعض مزاياهم في قوله:

أعزيكم كلا ومن كان عالما\*\* لموت أبي عثمان من مات سالما  
عطاء كبحر منه من كان يعلم\*\* وجود بلا أثر ولا يتكلما  
نراك بقلب في غيابك دائما\*\* فبرك عام أينما كنت دائما.

#### هـ - مضمون القصيدة.

عبر الشاعر عن قلقه وحزنه الشديد على الفقيد الراحل الحاج أبي بكر بن عثمان، الذي سافر إلى المملكة العربية السعودية للحاج، وجاءه هادم اللذات، ومفرق الجماعة والأسرة، وأدركه القضاء والقدر.

بدأ الشاعر مرثيته بقوله: "أرثى أبا بكر" وهذا النظم يلقي من ضنين قلبه وأحاسيس ضميره، وتم إعلان وفاة الفقيد عبر إذاعة النيجيرية أسماء الحجاج الذين لقوا مصيرهم أثناء تأدية فرائض الحاج، وقد ذكر الشاعر أوصاف الممدوح من أخلاق حميدة، وتواضع لكل صغير وكبير، وإكرامه للعلم والعلماء، وقد ناداه بلقبه المشهور وهو "مادواكي" أكد الشاعر مع إتقانه الجازم أن الفقيد يذكر مدى الدهر، ومهما يتحدث عن الكرم ولا بد أن يذكر بحر عطائه وطول يده مدي الدهر.

لقد قام الفقيد بتأدية مناسك الحاج، وهذا ليس الأول من نوعه، بل محاولات متكررة ناجحة، وتسليح سلاح الجهاد في خدمة الحق، واعتنق حرمة الله الذي لا يخفى على كل مبصر مدقق، وأعمال الممدوح الطيبة، ومحاولاته الناجحة، أدت بالشاعر إلى رؤيا الفقيد من نومه أنه مع المنعمين الصادقين والشهداء.

وأعقب الشاعر بمعرفة شخصية الممدوح بعد أن أعرب عن قلقه وحزنه وبالنداء له، وقال: "يا ربي يا رحمن" وطلب له المغفرة من كل ذنب ارتكبه الفقيد ما ظهر منها وما بطن، أن يتغمده الله بالعفو والمغفرة. وبدأ يعزى أهل الفقيد من زوجة أو أم أو أولاد، ودعا الله لهم أن يلهمهم السلوان والصبر.

#### و- أفكار القصيدة.

استهل الشاعر بأفكار سهلة اللفظ ووضوح المعاني تزخر معانيه بالأمان بالله والموت بوجوب إعادة النظر في متاع الدنيا إذ هي فانية معتمدة على إن الموت حق ولا يجدها كل مفكر ومتدبر في أن الموت ذهب بالأولين من الرسل والأنبياء.

ولو كانت الدنيا تدوم لأحد ما مات الرسل، والأفكار مسجوع سجعان قصيدة متوافقة الأجزاء مما أضفى على الشعر أو الأشعار لونا من الموسيقي تهز المشاعر إلى جانب تخير الكلمات وانتقاء الأفكار ووضعها في مواضعها المناسبة من الجمل كما أن أفكار شاعر في هذه الأشعار يفيض بالرفقة، كرقعة قلبه، ودموعه الشديد، وعاطفته الخزينة، فالأفكار والعبارات تسيل بالأسى والقلق، وللشعر صور رائعة، تسلسل المعاني والأفكار.

ومن الأفكار السهلة التي استخدمها الشاعر، هو افتتاح القصيدة بكلمة "أرثى أبا بكر بقلبي هائما" "لسمعي نعي الموت من كان عالما" فهذا تعبير عما يكنه الشاعر في حلجات ضم يره عندما نعاه خبر وفاة أبي بكر، وهو يظهر بعض أوصاف الفقيد من حسن معاملته، وشهرة عبادته الصوفية، وهو يقول: "حياة لماداكن ولا شك إنها\*" يفيد بها الناس وكل مكرما.

وهو يظهر حالته وقتذاك حيث يطوف ببيت الله، وهو يؤدي حقه وفرائضه وهناما يحرصه كل عالم. وبدأ الشاعر يبدي مجهودات وفضائل الفقيد، وشهد له أن الفقيد مع المنعمين والصدّيقين والأبرار. طلب الشاعر المغفرة للفقيد، ثم استمر بمراودة مؤاسفة الأهل والأقرباء. وقد اعترف الشاعر بأن الدمع المسكوب، إنما أثار للذكرى الذي مر على النفس، ففاض الدمع سيلا مدرارا يجري على حدين. وستظل الدهر تبكي ما بقي وسيظل رنين الحزن يهز مشاعر القلب ويصيبه بالفتور والإنكسار. وكان من عادة الشعراء، يذكرون صفات وفضائل الفقيد

ثم يعقبونه بالهام الصبر والسلوان لأسرة الفقيده قبل العاء للميت. ولعل الشاعر قدم وأخر لجه وشغفه الشديد للفقيده.

### ز- الخيال في القصيدة

يبتجلى في الأشعار العاطفة الصادقة ، والشعور الخريف و يروعنا منه تصوير البارع. لشعور الشاعر لفقيده، عند سماع وفاته، وكيف يسر حين يرى نجما يتألق فوق مياه أهله، كما – يروعنا عطفه على ترك الفقيده أهله في هذه اللحظات الشديدة، وكيف أنه يأسف من أهله يصبجون بلا سائق، ولا ينسى في هذه المحنة – بل لعل ذلك أمر طبيعي- أن يذكر أيامه الماضية، ويذكر أخلاقه النبيلة، ثم يلتفت التفاته بارعة حين يطلب إلى صاحبه وأهله ألا ينسى الفقيده، فإن العادة جرت أن ينسى الراحلون بعد ترميم أجسامهم، وكذلك أبرع في تحسر على الغد حين يسير أصحابه، ويتركونه وحيدا في هذا المكان الوحشة والقاع العميق، وكأنه يحسن بهذه الوحشة وبقاً لم لها من أنس ووحدة، وهو تصوير لشعور قلق، ولعل هذا هو سبب إلتفاته إلى الله بالدعاء طلبا الرحمة والمغفرة من الله سبحانه وتعالى.

### ح - أوزان القصيدة وقافيتها.

اختار الشاعر بحر الطويل في قصيدته الذي يتكرر عروضه وضربه مرتين بتكرار البيت، وهو فعولن مفاعيلن

فعولن مفاعلن\*\* فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن. ويقول الشاعر:

أرثى أبا بكر بقلبي هائما \*\* لسمعي نعي الموت من كان عالما

.....\*\* .....\.

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن \*\* فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

حياة لماداكى ولا شك إنها \*\* يعيد بها الناس وكل مكرما

.....\*\* .....أصاب



جناحك مفروغ بحب إلهنا \*\* فأدى فروع النسك مازال قائما.

وفي البيت الثاني، جعل المعطوف معرفة والعطف نكرة في قوله: "يعيد بها الناس وكل مكرما".(٣٩)

### الخاتمة

فقد تبين مما سبق من الدراسة، كيف تمكن للشيخ يوسف بمحاولته وعبقريته الشعرية الفذة، وإسهاماته في الحركات الصوفية بدرجة عالية بأقلامه النادرة، حيث جعل الشعر شجيرة من شجاياه وخاصة عند الإختفال بمولد النبوي، أو اسضافة عالم من علماء الإسلام سواء من داخل نيجيريا أو خارجه، ويظهر مزايا الممدوح بدون تفریط في الصفة ولا الماطلة، أو مرثية لفقيد عالم أو مرید له شهرة ومكانة في الدين حيث يعبر عن حزنه الشديد وقلقه العميق.

وفي هذا البحث ، حاول الباحث أن يسعى سعيا غير محايد، إذ أنه بحث أكاديمي، أن يدرس هذه الأشعار على قدر قوة ومهارة الشيخ يوسف عبد الله اللوكوجي، فقد وضع لبنة ليس لطلابه وأتباعه فقط بل لكل طالب علم أن يخذوا خذوه.

وقد مدح فضيلته الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي، وكانت القصيدة أولى تجربته للشعر، ولحقت قبولا ومكانة واحتراما. إذن فيعد الشاعر من الأدياء النيجيريين الذين أسهموا مساهمة فعالة في تطوير الشعر العربي الصوفي في نيجيريا خاصة وفي العالم أجمع.

### المراجع

- ١- أبيكن، موسى عبد السلام مصطفى: مجلة فائز، تصدر بقسم اللغة العربية، جامعة بييرو كانو. ص ٢٢١- ٢٣٩ عام ٢٠٠٧.
- ٢- مؤسسة الشيخ يوسف عبد الله اللوكوجي: النبذة التاريخية عن شخصية بقية السلف وضرغام الخلف، ص ١٠٢، ٢٠١٤، مكان الطبع غير مذكور.
- ٣- سليمان موسى: الحضارة الإسلامية في نيجيريا، الطبعة الأولى ص ٤٥، سنة ٢٠٠١. مكان النشر غير مذكور.
- ٤- محمد ثاني حسن: حياة الشيخ يوسف عبد الله اللوكوجي، بحث مقدم إلى كلية التربية الفدرالية .كاتشنا، ص ٤، سنة ٢٠٠٥.

- ٥- أبيكن موسى عبد السلام مصطفى: المرجع السابق، ص ٢١٧
- ٦- المرجع نفسه ص ٢٠٨
- ٧- نور الدين يوسف: مجلة مؤسسة الشيخ يوسف عبد الله اللوكوجي، العدد ٢، ص ٥
- ٨- المرجع نفسه، ص ٥.
- ٩- المرجع نفسه، ص ٦
- ١٠- المرجع نفسه، ص ٧.
- ١١- نصر الدين يوسف: مخطوطة موجودة في مكتبته الخاص، ص ٣، سنة ٢٠٠٤.
- ١٢- أحمد التيجاني يوسف: مقابلة أجري في مكتبة المركز بتاريخ ١٥\٤\٢٠١٨
- ١٣- المرجع نفسه.
- ١٤- أبو بكر يوسف: مخطوطة موجودة في مكتبته الخاص، ص ١٠٣
- ١٥- نصر الدين يوسف: المرجع السابق، ص ٧.
- ١٦- اللوكوجي، يوسف عبد الله: المزاج في ذكر بعض الأحباب الصالحين في نيجيريا الرائقة، نيجا، مطبعة باغود بده، ص ٢٨، غير مؤرخ.
- ١٧- اللوكوجي، يوسف عبد الله: البيان الصافي فيما عليه الصوفية، مطبعة كيوليري، إلورن، الطبعة الأولى، ١٩٨٣، ص ٤.
- ١٨- التصوف والإبداع الشعري في نيجيريا: مجلة حوليات للتراث، رقم ١٤٢٣، أرشف أدياء والشعراء ومطبوعات، [www.ahran.org.eg](http://www.ahran.org.eg)
- ١٩- ميغري محمد طاهر: الشيخ إبراهيم إنياس السنغالي، دار العربية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨١، ص ١٢.
- ٢٠- إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، (ج ٢٠٠١)، القاهرة، ط ٢، سنة ١٩٧٢، ص ٣٥٢
- ٢١- زكريا إدريس أبو حسن: المأدبة الأدبية لطلاب العربية في أفريقيا الغربية، دار النور للثقافة الإسلامية، أوتشي، نيجيريا، ٢٠٠٣، ص ٦.
- ٢٢- علي محمد حسن العماري وزكي علي سويلم: الأدب وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي، الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٣١.
- ٢٣- ميحاجا، محمد نجل سليمان: فقد البطل، مخطوطة غير منشورة في مكتبته الخاص، سنة ٢٠١٥.
- ٢٤- دار المشرق: المنجد في اللغة والأعلام، بيروت، دار المعارف بمصر، ط ٧ سنة ١٩٦٠، ص ١٩٦.
- ٢٥- أبو بكر يوسف عبد الله: المرثية الشكرية إلى الحضرة اليوسفية، ٢٠١٥، ص ٤، مخطوطة في مكتبته الخاص.
- ٢٦- زكريا إدريس أبو حسن: المرجع السابق، ص ٧.

- ٢٧- التيجاني، إبراهيم موسى: إلى الأب الحنون، مرثية مقدمة في التعزية الشيخ يوسف عبد الله اللوكوجي، مخطوطة في مكتبته الخاص، غير مؤرخ.
- ٢٨- المنجد في اللغة والأعلام: المرجع السابق، ص ٥٠٤.
- ٢٩- محمد أبو بكر: الدمع المذرا على مربي الأخيار، ورقة غير منشورة وفي مكتبته الخاص،
- ٣٠- اللفاخوري، حنا: تاريخ الأدب العربي، المطبعة البوليسية، بيروت، ط ٤، ص ١٠٦-١٠٥، غير مؤرخ.
- ٣١- العروضي، عبد الوهاب أحمد: قبلة الأجيال، مخطوطة موجودة في مكتبته الخاص، غير مؤرخ.
- ٣٢- اللوكوجي، يوسف عبد الله: رثاء لأبي بكر مادواكن بده، مخطوطة في مكتبته الخاص، ص ٦، غير مؤرخ.
- ٣٣- المرجع نفسه، ص ١.
- ٣٤- المهدي، محمد عقيل علي: مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الحديث، القاهرة، ص ٨٦، سنة ١٩٩٢.
- ٣٥- ميغري، محمد طاهر: الطريقة التيجانية هي المظهر الأخير لفرقة الشيعة الإسماعيلية القرمطية الباطنية، سنة ٢٠١٤، ص ١٠٤، مكان النشر غير مذكور.
- ٣٦- المرجع نفسه، ص ١٠٥.
- ٣٧- الفيومي المقري: المصباح المنير، معجم عربي عربي، المكتبة العربية العصرية للطباعة والنشر، بيروت، صيدا ١٩٩٧، ص ١٦٤.
- ٣٨- علي علي صبح: الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، الجريسي للكمبيوتر للطباعة والتصوير، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٢٧.
- ٣٩- المرجع نفسه، ص ٢٨.
- ٤٠- اللوكوجي، يوسف عبد الله: منيع الفيضة الإبراهيمية في ذكر مولد صاحبها الكولخي، ط ٤، ص ١٣، سنة ٢٠١٠، مكان النشر غير مذكور.